

الغِـــرارة



الغِرارةُ الرابعة

مِن كتاب

(قصص من الحياة)

للأديب الشيخ: علي بن مصطفى الطنطاوي

(ت: ١٤٢٠ هـ)

أسعدُ بملاحظاتك عبر البريد الشَّبَكي:

Ar.AlMaiman@gmail.com

أو عبر حسابي على (تويتر) أو (الانستغرام):

@AlMaiman93

بســـــم الله الرحمن الرحيـــــم

هذا السِّفْرُ وإنْ سمَّاه مصنِّفه (قصصًا) إلا أنَّه – كما اعتذرَ في خاتمته، وستراه إن قرأتَ – لم تُستَوْفَ فيها شرائطُ القصَّة الفنيَّة؛ فسمِّها (مقالاتٍ) أو (صُوَرًا) إن شئتَ؛ فلا مشاحةَ إن شاء الله.

هو مجموعٌ لبَدائعَ مِن مقالات الطنطاوي رحمه الله، وأسلوبه – وذلك غيرُ خافٍ – مِن السَّهل الممتنِع، الذي تظنُّ أن كلًّا يُحسِن نَسْجَ مِثله، فإذا رمتَه= رُمْتَ صعبًا!

نوَّه الطنطاوي في مقدِّمته أنَّ ثمةَ مقالات لا ينبغي أن يقرأها شابٌّ أو شابَّةٌ إن هما أرادا صفاء ذهنهما، وراحة بالهما، لما فيهما مِن تصاويرَ يَعْرِفها مَن قرأها، وقد نقلتُ ما كتَبَ بنصِّه في (الاقتباس ٣)؛ فراجعه.

وقبلَ ختمِ هذه الكلمات أقول – لَمَّا كَثُرَ النَّقدُ لبعض ما تحويه هذه الغرائر – : **إنَّ منهجي فيها هو النَّقْلُ المجرَّد، أنقلُ ما أوافقه وما أخالِفه،** فهذه المُقيَّداتُ إنَّما أقيِّدها لنفسي أصالةً، ولمن يريد الانتفاعَ بها تَبَعًا، وقد أعلِّق على بعضِ المسائل على نُدْرَة، وذلك لأمورٍ، منها: أنَّ تعليقي عليها قد يُعيقني عن الاستمرار في نَشْرِها؛ تطلُّبًا للكمال في هذه التعليقات!

ومما أنبِّه إليه – أيضًا – وبه أختِم: أنَّ بعضَ الاقتباسات قد لا تكون إلا لتصويرٍ فنيٍّ، كما ستراه في (الاقتباس ١٩)، وثمةَ تصاويرُ بديعةٌ كثيرةٌ في هذا الكتاب، لكنها بحاجةٍ إلى نقلها بسياقها الطويل، فعدلتُ عن نَقْلِها.

والحمد لله ربِّ العالمين

هذه الأحرفُ منتقاةٌ مِن سِفْرِ الأديبِ عليٍّ الطنطاوي

الموسوم بـ**(قصص من الحياة)**

والطبعةُ التي اعتمدتها هي الطبعة السابعة لـ(دار المنارة) عام ٢٠٠٨

قال الشيخُ عليٌّ الطنطاوي:

١. فمن نَظَر في المرآة فرأى وجهَه مصفرًّا ولونَه حائلًا= فلا يَلُمِ المرآة على اصفرار وجهه وتحوِّل حاله .. **والأديبُ**: مرآة الأمَّةِ ولسانُها الذي يُبْدي المكنون في أفئدة أهلها. (ص: ٥)

٢. وفي قصيدة كعب التي نظمها في رسول الله ﷺ، وفي القصائد التي كان يَستشهد بها علماءُ الصدر الأول كثيرٌ من أوصاف النساء، **ما منعتهم كثرته من الاستشهاد به**. (ص: ٧)

٣. ولستُ أجوِّز – مع ذلك كلِّه – أن يوضع هذا الكتابُ بين أيدي الشباب والشابَّات، وإذا امتدَّت إليه يدُ شاب= فأنا أوصيه – إن أراد راحةَ أعصابه وهدوءَ بالِه – ألَّا يقرأ هذه القصص، وهي: (مِن صميم الحياة – الخادمة – بنات العرب في إسرائيل – طبق الأصل – في حديقة الأزبكيَّة – صلاة الفجر)، ولستُ أقول هذا دعايةً لها وترغيبًا فيها، لا والله العظيم، ولكن أقوله نُصْحًا للشباب، وضَنًّا بهم عليها، وخشيةً من الله أن أكون قصدتُ الإصلاح؛

فأفسدتُ! وياليتني لم أكتب هذا الذي أضطرُّ إلى الاعتذار منه، والندم على الإقدام عليه. (ص: ٨)

٤. ورحَّب بنا على الطريقة التركيَّة، **يخفِض يده ويلوِّح بها على أسلوبٍ معروفٍ، ثم يمسُّ بها طرف ذقنه ويرفعها إلى جبهته، كأنَّه يقول: إنِّي آخذ ذَيْلَ أحدكم؛ فأقبِّله وأضعه على رأسي.** (ص: ٣٦)

٥. فإنَّ مِن الأصوات: الصوتَ المهذَّبَ والصوتَ الوَقِح، والصوتَ الـمُرَفَّهَ والصَّوتَ البائس، وصوتًا خليعًا وآخر صَيِّنًا .. إنَّ الصوتَ لينطِق مِن غير حروف، وربَّ ناطقةٍ بـ(لا إله إلا الله) وصوتها يدعو إلى الفحشاء، وقائلةٍ كلمةَ الفجور وصوتها ينهى عنه! وإنَّك تستطيع أن تتخيَّل المرأة من صوتِها. (ص: ٤٠)

٦. إنَّها مهنةٌ[١] ليس فيها إلا الألم، ولكن صاحبَه يستمرئه ويجزع لفَقْدِه، كصاحِب (الكوكائين) يأخذه وهو يأخذ حياته؛ فإذا افتقده= حنَّ إليه .. أليس هذا مِن الغرائب؟[٢]. (ص: ٥٩ – ٦٠)

٧. لا يا ولدي، لا تحرص على هذه المهنة، اتركها إن استطعتَ؛ فهي محنةٌ لا مهنة، هي موتٌ بطيءٌ لا حياة. إنَّ المعلِّم هو الشهيد المجهول الذي يعيش ويموتُ

---

[١] يعني: التعليمَ.

[٢] وهذا كلامُ أستاذه عبدالواسع له، رحمهما الله.

ولا يدري به أحدٌ، ولا يذكره الناس إلا ليضحكوا مِن نوادره وحماقاته![٣].

(ص: ٦٠ – ٦١)

٨. ذكر في حاشية (ص: ٧٢) أنَّ أهلَ الشام يَكْنُوْنَ زوجاتِهم بـ(أهل البيت) إلى اليوم؛ على عادة العرب مِن كراهية التصريح بذكرها.

٩. ولم يكن في دمشقَ صاحبُ مروءةٍ يُماشي امرأته في طريقٍ فتعرّف به حيثما سارت؛ بل يتقدَّمها أو تتقدَّمه، ويكون بينهما بُعْدٌ بعيد.

وإذا بنى رجلٌ غرفةً يُشرِف منها على نساءِ جارِه= أنبأ الشيخَ وأصحابَه؛ فألزموه حدَّه، وإن فتَح امرؤٌ شبَّاكًا على الجادَّة= سدّوه؛ لأنَّ القومَ كانوا يحرصون على التَّستُّر، ويكرهون التشبُّه بالإفرنج؛ فالبيوت تبدو من الطريق كأنَّها مخازِنُ للقمح لا نافذةَ فيها ولا شبَّاك، ولكنها من الداخلِ الفراديسُ والجِنان. (ص: ٨٨ – ٨٩)

١٠. والمباحثُ – في الأصل – : المكانُ المجهول. (حاشية (١) ص: ٩٣)

١١. غَلَت الأشياء كلُّها، ولكن رَخصت الضمائر. (ص: ٩٤)

١٢. وأكثرُ ما تعيشُ الرَّذيلةُ راسبةً في القَعْر، أو طافيةً على الوجه .. فلا تراها إلا في أسفل السُّلَّم الاجتماعي أو في أعلاه، أمَّا الأوساط= فهم الأخيار، وهم الصالحون. (ص: ٩٨)

١٣. ونَفْسُ العَزَب – مهما اتَّقى وصَلَح – كصندوق الديناميت؛ لا يؤمَن انفجاره إذا داناه لهبٌ أو مسَّته نارٌ، ونَفْسُ العَزَبِ يُلهِبها كلُّ ما في السُّوق من متبرِّجاتٍ

[٣] كذلك هذا من كلامه أستاذه عبدالواسع، وكان مِن أساتيذه في (المدرسة التجارية) عام ١٩١٨م.

سافِراتٍ، وما على الشاطئ من عارِيْنَ وعاريات، وما في السِّينما والقصص مِن أخبار الداعرين والداعرات .. فأيَّان تأمن انفجار الديناميت؟. (ص: ١١٩)

١٤. السعادةُ التي يُحسُّ بها المؤمن= لا تعدلها لذائذُ الجسم ومُتَعُ الحبِّ ولا توازيها!. (ص: ١٢٣)

١٥. الصِّلَةُ بالمرأة[٤]= سرابٌ خادِع .. تراهُ مِن بعيدٍ، وتسمع وَصْفَ زلاله الصافي ومائه النَّمير= فيبهجك الشوق إليه، ولكنك إذا جئته لم تَجِدْه شيئًا.

جرِّب هذه الصِّلَةَ مرَّةً= تُحِسّ بهوانها وسخفها. لا؛ .. لا تُجرِّبها! **فإنَّ مَن جرَّب المُجرَّب= حلَّتْ به الندامة**، ولا تُغامِر بدينك وشرفك لتَعْلَم هذه الحقيقة، بل ثِقْ بما أقول لك، ولا تُثِر هذه النارَ في نفسك؛ فإنَّك لن تستطيع أن تطفئها. (ص: ١٢٣)

١٦. إنَّنا نحتاج إلى مبشِّرين بالفضيلة ممَّن عرف الرَّذيلة وخَبَرَها، أمَّا مَن دعا إلى الفضيلة لأنَّه لم يقدِر عليها= فهو شرٌّ مِن الشيطان – لأنَّه إن قَدِرَ عليها= انقلب داعِرًا خبيثًا؛ فأضلَّ معه مَن كان اهتدى بهَدْيِه، والشيطانَ يدعو إلى الرَّذيلة عَلَنًا؛ فلا يضل به إلا من أراه الضلالة – وليست فضيلة العاجِز إلا انتقامًا لنفسه مِن القادرين. (ص: ١٢٤)

١٧. مَن زار الشامَ ومصايِفَها ولم يَرَ (بسّيمة) و(العين الخضراء)= فلا يَقُل: (إنِّي رأيتُ الشام)؛ لئلا يقول غير الحق!. (حاشية (١) ص: ١٣٠)

١٨. وكلمةُ الدَّرَج مؤنَّثةٌ؛ لأنَّها جمعُ دَرَجة. (حاشية (٣) ص: ١٣٣)

---

[٤] وكان الحديثُ عن الزِّنا عياذًا بالله.

١٩. والجامعُ الأمويُّ: كأنَّ قبَّتَه مِن فوقِها عمامةُ التَّقوى على رأسها، ومآذنه الطويلة السامِقَةُ كأنَّها أصابعُ ممتدَّةٌ بالشَّهادة، شهادة أن لا إله إلا الله. (ص: ١٣٩)

٢٠. والجهاد في فسلطين= أفضل مِنه في البلاد الأخرى؛ لأنَّه لم تُمْنَ بلدةٌ بمثل ما مُنِيَتْ به فلسطين حين دخل عليها اللصَّان؛ فلبس أحدهما جبَّة الحاكم فقضى – وهو اللص – ، وارتدى الثاني رداء التاجر؛ فاشترى – وهو السارق – ؛ وكان خلاصة الأمر كلِّه أن تقول للمالِك: قُمْ فاخرجْ مِن دارِك لنعطيَها لهذا السارق، أو .. أو نهدم دارك ونقطع رأسك!. (ص: ١٨٢)

٢١. إنَّ لبنانَ= معرِضُ الفنِّ العلويِّ الذي أبدعته يَدُ الله، فمن لم ير لبنان – لبناننا: الشرقي النقي الطاهر، ولبنان القوم: المرح الشاعر – لم ير مِن دنياه شيئًا!. (ص: ٢٠٢)

٢٢. إنَّ هذا الأب(*) يحسب أنَّ كلَّ رجلٍ ينظر إلى ابنته بعينه هو، وطبيعيٌّ منه ألا ينظر هو إليها بعَيْن الشهوة؛ فلذلك يطلقها في الشارع، ويبعث بها إلى المدرسة على شكل يفتِن العابِد، ويُحرِّك شهوةَ الشيخِ الفاني!. (ص: ٢١٠)

٢٣. فما المرقَص لمن يدعو الله خاشِعًا صادقًا وهو يبكي على خطيئته إلا مسجدٌ مبارَك، وما المسجدُ لمن يدعو بلسانه وقلبُه معلَّقٌ بالشهواتِ وفِكْرُه باحثٌ عن سُبُل الموبِقاتِ إلا ملهًى!

وما كان الله لينظُرَ إلى صُوَرِكم وأزيائكم وهندسةِ عماراتكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم.

(*) ولعله قصَد به: الأبَ المفتونَ بحضارة الغرب، وترك ابنته تروح وتأتي متى وكيف شاءت.

وكم في الأسواق والقهوات والسِّينمات[٦] مِن وليٍّ لله كُتِب له بإخلاصه حسنُ الخاتمة، وكم في التَّكايا والزَّوايا مِن وليٍّ للشيطان يُرائي بالدين؛ ليأكل الدنيا. (ص: ٢٣٠)

٢٤. وإنَّ ابن الرُّومي هو عندي أدقُّ شعراءِ الدنيا إحساسًا بالمرأة، وأعظمهم بالحبِّ معرفةً، وأحسنُهم لجوع العاطفة تصويرًا حين يقول:

أُعَانِقُهَا، وَالنَّفْسُ بَعْدُ مَشُوْقَةٌ ** إِلَيْهَا، وَهَلْ بَعْدَ العِنَــاقِ تَدَانِيْ؟

وَأَلْثُمُ فَاهَا؛ كَيْ تَزُوْلَ حَرَارَتِيْ[٧] ** فَيَشتَـدُّ مَــا أَلْقَـى مِنَ الهَيَمَـانِ

كَأَنَّ فُؤَادِيْ لَيْسَ يُشْفِيْ غَلِيْلَهُ ** سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوْحَيْنِ يَلْتَقِيَانِ!

وما يُعانِقها على الحقيقة ولكن على المجاز، فما يروي ظمَأَ نفسه إلى الحب ذلك العِناق، وإنَّه يتمنَّى أنْ لو أفناها فيه حتى عادا شخصًا واحِدًا، وذلك ما لا يكون. (ص: ٢٣١ – ٢٣٢)

٢٥. وإنَّ مِن بديعِ صنع الله أنَّه لم يخلق امرأةً تُشبه في جمالِها الأخرى؛ **فالنِّساءُ مختلفات، ولكن طعمَ المتعة بهنَّ واحدٌ لا يختلف!**

وما فرقٌ بين هذه الراقصة وبين امرأتك إلا أنَّ الأولى تأتيك على جوعِك بالرَّغيف قد لفَّته بمنديل الحرير، ووضعت المنديل في شَمْلَةٍ، وألقتْ الشملةَ في

---

[٦] قال الشيخ في الحاشية: ولستُ أقيسُها – وهي دورُ لَـهْوٍ – بالمسجد – وهو دارُ عبادة –، ولا أقول: إنَّ دخولَها حلالٌ، ولكن أقرِّرُ معنًى من معاني الإخلاص والرياء؛ فلا يُحمَّل كلامي أكثرَ مما تحمله ألفاظه.

[٧] قال الشيخ في الحاشية: كذلك أحفظها، وأجد – بالذَّوْق – أن جملةَ: (كي تزولَ حرارتي) مبتَذَلةٌ لم يَقُلْها ابنُ الرُّوْمي، وإنَّما قال شيئًا آخر بدَّله الرُّواة!.

صندوقٍ من الفضَّة المذهَّبة، وجعلتْ حولَ الصندوقِ الورقَ الشَّفَّاف؛ فأنتَ كلما رفعتَ حجابًا مِن هذه الحُجُب= اشتدَّ جوعك وشوقك إلى ما وراءَها؛ فإذا بلغتَ الرَّغيفَ= حسِبتَه قد قُطِفَ مِن قمح الجنَّة، ثم طَحَنَتْه الملائكة، ثم عجنَتْه بأيديهنَّ الحورُ العِيْن .. وتلك تأتيكَ بالمائدةِ الحافلةِ مكشوفةً ظاهرةً، وأنت لا تأكل المنديل ولا الشَّملةَ ولا الصندوقَ، وإنَّما تأكل الرَّغيف، وأنت لا تريد هذه الثِّيابَ ولا هذه الأنوار؛ إنَّما تريد المرأة، ولعل امرأتك أبهى مِنها وأجمل.

وهَبْ أنَّ هذه أطرى جسمًا وأحلى وجهًا وأقدرُ على الفتنة .. فمن قال لكم إنَّ الجمالَ هو هذا؟! إنَّ الجمال هو الإخلاص.

إنَّك ترى أُمَّك جميلةً في عينيك حبيبةً إلى قلبك، ولعلَّ في وجهها من تجاعيد الكِبَر أوديةً وجِبالًا، ولعلَّ فمَها كالمغارةِ الخالية، ولعلَّ يديها كمخالبِ الطَّيْر، وترى المرأةَ التي خانَتْك وغدرتْ بك قبيحةً بغيضةً، وإن كانتْ في عين الرَّائي أجملَ النِّساء! (ص: ٢٣٢ – ٢٣٣)

٢٦. إنَّكم تفتِّشون عن السَّعادة، ولكنكم لا تعرفون طريقَها، ولا تفكِّرون بعقولكم فيها.

لماذا تَسْعَدُ أيّها التاجر الذي يملك الآلاف إذا ربحتَ ألفًا آخر؟ لأنك كنتَ تطلب هذا الألف وتشتهيه؛ فجاء يسُدُّ مطلبَك ويوافِق شهوتك؛ فمِن هنا كانت سعادتك به، ومِن هنا كان أَلَـمُك لفَقْدِه، على حين أنَّ التلميذَ الذي لا يبلغُ أقصى أمله أن يمتلك عشرين قرشًا= لا يألَمُ إن لم يربحْ هذا الألف، بل هو لا يفكِّر فيه.

أفليسَ التلميذُ ذو العشرينَ قرشًا= أغنى بها منك يا ذا الآلاف بآلافِك؟!

والموسِر الغنيُّ الذي يملِك عشرَ عماراتٍ= يألَمُ إن عُرضتْ للبيع عمارةٌ أخرى ولم يقدِر على شرائها، على حين أنَّ الموظَّف الصغيرَ الذي يسكن غرفةً بالأجرة= لا يجد هذا الألم، وينام مِلء جفونِه في الليلة التي يتقلَّب فيها الموسِر مِن الأرق؛ أسَفًا على العمارة التي أضاعَها.

أفليسَ الموظَّف بغرفته المأجورة= أغنى مِنك يا صاحب العمارات بعماراتك؟!. (ص: ٢٣٣ – ٢٣٤)

٢٧. **إنَّ الحياةَ النفسيةَ= كدفتر التاجر؛ ليست العبرة بضخامةِ أرقامه، ولكن بالباقي بعد الجمع والطَّرح!** فالذي يملك مليونًا ويُطلَب منه مليونٌ= مثلُ الذي لا يملك شيئًا ولا يُطلَب منه شيء. والذي نال مِن دنياهُ كلَّ لذَّةٍ – وهيهات! – مثلُ الدرويش السائح في البرّيَّة الذي لا يطلب إلا لقمةً يَسُدُّ بها جوعَه، وجرعةً يبُلُّ بها جوفَه، وأرضًا يلقي عليها جنبَه، ومعه رغيفُه وركوته، وله أرضُ الله الواسعة .. إنَّ هذا هو أسعد السُّعَداء.

فمن قَنع= أسعده أقلُّ الأقل، ومَن طَمِعَ= لم يُسعِده شيءٌ مهما جلَّ؛ لأنَّ النفسَ تطمحُ إلى الَّلذَّة، فإن وصلتْ إليها= أبطلت الألفة اللذة= فتطلبُ غيرَها. (ص: ٢٣٤)

٢٨. **العادةُ تبطِل اللذةَ والألمَ**، وتهوِّن السجنَ على السَّجين، والحربَ على المحارِب، وتجعل الخليفةَ الذي كان في قصره عشرةُ آلافِ غادة من جميلاتِ الأرضِ حُشِرْنَ إليه= مثل الذي في بيته امرأةٌ واحدةٌ!

إنَّما اللذةُ التي لا تفنى ولا تنقصُ: لذةُ القلب، لذةُ التأمُّل، لذةُ المتعبِّد في هدأةِ الليل، والمناجي ربَّه في الأسحار!. (ص: ٢٣٥)

٢٩. إنَّها تمرُّ على المتعبِّد ساعاتٌ في كلِّ لحظةٍ منها لذَّةٌ تَفْضُل لذَّةَ الوِصال، كما تَفْضُل الشمسُ الشمعةَ، والبحرُ الساقِيَة، ومن ذاقها= عرفَ معنى قوله ﷺ: **(حُبِّبَ إليَّ مِن دنياكم: الطيبُ والنِّساء، وجُعلتْ قرَّةُ عيني في الصلاة)**.

ليس معناه أنَّ نبيَّنَا مولَعٌ بالنِّساء – كما فَهِمَ دوابُّ المستشرقين – ولكن سرُّ المعنى في قَرْنِ الطِّيب والنِّساء – وهما مِن لذَّاتِ كلِّ نفسٍ بشريَّة – بالصلاةِ، ثم رفعِها عنها= للدلالة على أنَّ الصلاة لذةٌ ومتعة، ولكنها أعلى وأسمى. (ص: ٢٣٥ – ٢٣٦)

٣٠. إنَّ مردَّ ما تجدون مِن عُرامِ الشهوة وشدَّتِها إلى أمرين: حبِّ الغلَبَة، والتطلُّعِ إلى المجهول. (ص: ٢٣٦)

٣١. وكنتُ[٨] قد تعلَّمتُ التحيَّةَ العربيَّة، وهي: الإشارةُ باليد إلى الجبهة والشفة والصَّدر؛ **رمزًا إلى أنَّ الصَّداقةَ تَشْغَلُ العقلَ بالتفكير، واللسانَ بالنطق، والقلبَ بالعاطفة**. (ص: ٢٤٧)

٣٢. (الشُّيُوخة) هي الشيخوخة. (حاشية (١) ص: ٢٦٦)

٣٣. وربَّ إشارةٍ أو كلمةٍ أدلَّ عند (النَّفْس) مِن كتابٍ ضخمٍ عند (العقل). (ص: ٢٧٢)

---

[٨] ويحكي الشيخُ هذا الكلامَ على لسانِ فرنسيٍّ درَّس في مصرَ.

٣٤. وشفقةُ الفتاةِ على الفتى الجميل= بذرةُ الحُبِّ، تختفي في قلبها فلا تُحسُّ هي بها، كما تختفي حبة الصنوبر الصغيرة في حدور الجبل، تطؤها الأقدام وتتجاوزها الأبصار ولا يدري بها أحد، ثمَّ ما تلبثُ أن تكون شجرةً باسقةَ الفرع، ممتدَّة الأصل، شامخةَ الهام!. (ص: ٢٧٤)

٣٥. ولا تزال المرأة غالبةً ما حاربت بالأنوثة؛ فإن زهدتْ فيها وحاولت أن تجاري الرّجل في ميدانه، وتسابقه في حلبته، وتقاتله بسلاحه= اصطكَّت ركبتاها، وكلَّت قدماها، وعجزت يداها، وسقطت!. (ص: ٢٧٥)

٣٦. وليس الحُبُّ ضمَّةً ولا شمَّة ولا القبلة .. الحبُّ أن يرى المحبوبةَ= فيحسُّ في نفسه جوعًا سماويًّا إليها، رغبةً جامحةً في أن يفتح قلبَه ويضعها فيه ويضمَّه عليها. الحبُّ أن تفنى هي فيه ويفنى هو فيها، أن لا يُفرِّق بين الحبيبين الزمانُ ولا المكانُ ولا الميولُ ولا الأهواءُ .. فيكون أبدًا معها، هواه هو هواها وميوله ميولها، ويكون في رأسه صداعُها، وفي معدتِه جوعُها، وفي قلبه مسرَّاتُها وأحزانُها، وأنْ تكون له ويكون لها، وأن يدخلا معًا في مصنع القدرة الإلاهية مرةً ثانيةً ويخرجا وقد صارا إنسانًا واحدًا في جسمَيْن اثنين؛ فأين تروي جرعات اللذائذ الحسية هذا الظمأ الروحي؟ إنَّها كالخلِّ للعطشان؛ يشربه= فيحرق أمعاءه ويزيد ظمأه!. (ص: ٢٧٩)

٣٧. هذا هو الحبُّ: ثوبٌ برَّاقٌ تحملُه امرأة وتمشي حتى تلقى رجلًا؛ فتخلعه عليه= فتراه به أجمل الناس وتحسب أنَّه هو الذي كانت تبصِر صورَتَه في فُرَج الأحلام، وتراها في ثنايا الأماني.

مصباحٌ في يد الرَّجُل، يوجِّهه إلى أوَّل امرأة يلقاها؛ فيراها مشرقةَ الوجه بين نساء لا تُشرِق بالنور وجوههن، فيحسبها خُلقتْ من النور وخلِقْن من طين= فلا يطلب غيرَها، ولا يهيم بسواها، لا يدري أنَّه هو الذي أضاء محيَّاها بمصباحِ حُبِّه. خدعةٌ ضخمةٌ من خدع الحياة، خَفِيَتْ على المُحبِّين كلِّهم مِن عهد آدم إلى هذا اليوم.

هذي هي حقيقة الحبِّ= فلا تسمع ما يهذي به المحبُّون. (ص: ٢٨٢)

٣٨. وهل يُخالِف العاشِق معشوقَه؟! إنَّه لا يستحقُّ اسمَ العاشِق حتى يرى كلَّ نزوةٍ للمعشوقِ= حكمةً بالغةً، وكلَّ رغبةٍ= فرضًا لازِبًا، وكلَّ نقيصةٍ= كمالًا ما بعده مِن كمال!. (ص: ٢٨٤)

٣٩. لا بدَّ للحبيبَيْن من مَشغلة؛ فإن لم يجداها وظلَّا متعانقَيْن العمر كلَّه والحبُّ بينَهما= فإنَّه يختنق!

وكيف يعيشُ الحبيبانِ إن اقتصرا على حديث الحب؟ وهل في لغة الحبِّ إلا: (أُحِبُّكَ) و(أُحِبُّكِ)؟ كرِّرها عشرينَ مرَّةً= تَنَم!

وهل في دنيا الحبِّ إلا العِناقُ والقُبَل؟ فهل تُمضي الحياةَ تُقبِّل وتعانِق؟ ألا تمل؟ ألا تكِلُّ؟ ألا تجوع؟ ألا تظمأ؟ إنَّ حياةً كهذه= خيرٌ منها السجن، وأحلى منها الموت! وأولى بالعاشِق أن يفِرَّ منها ولو إلى سَقَر! (ص: ٢٨٥)

٤٠. وأفقر قصة في الحياة: قصةُ الحبِّ؛ فهي تتكرَّر دائمًا بمشاهدها وفصولها، لا يتبدَّل فيها إلا أشخاصُ الممثِّلين!

قصَّةٌ ألَّفها هذا الطفلُ الجبَّارُ[٩] فضاق به الخيال، وقعد به العجز= فلم يستطع – خلال ألفِ قرنٍ من الزمان – أن يزيد عليها شيئًا أو ينقص منها شيئًا؛ فهي تمثَّل في غابةِ بولونيا وفي مسارب هايدبارك كما كانت تُمثَّل في مغارات سرنديب وكهوف بابل!. (ص: ٢٨٩)

٤١. والحُبُّ – مُذْ كان الحبُّ – مظهرهُ: البذل، وحقيقته: الأخذ، ورداؤه: الإيثار، وجسمه: الأَثَرة. (ص: ٢٩١)

٤٢. والمودَّة إن اتَّصلتْ بين الرجل والمرأة= لا تلبثُ أن تصيرَ حُبًّا. (ص: ٢٩٨)

٤٣. والحُبُّ جنون يدفع إلى كلِّ حماقةٍ وشر. (ص: ٣٠٠)

انْتَقَاهَا رَاجِيْ الغُفْرَان

عَبْدُالرَّحْمَنِ بْنُ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِالله بْنِ عُمَرَ المَيْمَان

غَفَرَ اللهُ لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِمَشَايِخِهِ وَلأَصْحَابِهِ وَلِلْمُسْلِمِيْنَ

وَكَانَ الفَرَاغُ مِنْ تَقْيِيْدِهَا: عَصْرَ الثُّلَاثَاءِ سَادِسَ عَشَرَ شَوَّالٍ

لِعَامِ خَمْسَةٍ وَثَلَاثِيْنَ وَأَرْبَعِمِئَةٍ وَأَلْف

وَالحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمِيْن

---

[٩] لعله يعني بهذا الطفلِ: الحبَّ.